ملامح علم النفس في القرن الحادي والعشرين

■ الدكتور نوري جعفر

ـ ١ ـ

استندت معرفة الأنسان البدائي القديم الى عملية التأمل في الطبيعة والمجتمع والانسان نفسه . وقد بدأ ذلك لدى سكان مابين النهرين ووادي النيل وفي الهند والشرق الاقصى قبل الميلاد بزهاء ثمانين قرنا . ثم تبلورت تلك المعرفة واتسع نطاقها وتعددت مجالاتها بشكلها المدون في عهد اليونانين الاقربين منذ القرن السادس قبل الميلاد . وكانت في جوهرها جوانب متعددة للفلسفة ذاتها التي اصبحت تسمى « ملكة العلوم » أو (أم العلوم) و(علم العلوم) واذا استثنينا الرياضيات (لاسيما الهندسة) والفن (لاسيما الشعر) فان فروع المعرفة الشائعة انذاك كانت ذات جوانب متعددة ومتفرقة للفلسفة : علم الاخلاق : (الفلسفة الاخلاقية) : « علم الفيزياء » « الفلسفة الطبيعية » : « علم الفلك » « ماوراء الطبيعة » : « علم النفس » : « الفلسفة العقلية » . وهكذا .

وقد استمر ذلك ـ من حيث الاساس ـ حتى مطلع القرن الماضي . فقد اطلق دالتن (١٧٦٦ ـ ١٨٤٤) مثلا عالم الكيمياء البريطاني على كتابه الذي نشره عام ١٨٠٨ في الكيمياء اسم « الفلسفة الكيمياوية » وسمى لامارك (١٧٤٤ ـ ١٨٢٩) عالم الاحياء الفرنسي مؤلفه في علم الاحياء الذي نشره عام ١٨٠٩ : « الفلسفة الحياتية » .

يبدو ان مصطلح « علم النفس » الشائع باللغة العربية هو ترجمة لمصطلح Psyehology باللغة الانكليزية (او المصطلحات المقاربة في اللغات الاوربية المعاصرة (الالمانية : الفرنسية الخ) . والمصطلح مشتق في الاصل من كلمة لاتينية ذات مقطعين هما : psyche بمعنى نفس (اللغة العربية) وLogos بمعنى المعرفة التي هي ضد الجهل .

وقد بدأ استخدام المصطلح المشار اليه في كتابات المعنيين بالشؤون الفلسفية والنفسية في القارة الاوربية منذ القرن العاشر الميلادي . تم تبلور باستخدام ذلك المصطلح (في المانية بصورة خاصة) في النصف الثاني من القرن الثامن عشر بتأثير الفيلسوف الالماني كريسجين وولف (١٦٧٤ ـ ١٧٨٤) عندما بدأ موضوع « علم النفس » بالاستقرار والانفصال عن الفلسفة واصبح علما قائما في حد ذاته (فرعا مستقلا من فروع المعرفة) وأنيط تدريسه باستاذ مختص ضمن اقسام الفلسفة في الجامعات الالمانية أنذاك . غير انه بقي مرتبطا بالام (الفلسفة) من ناحية معطياته النظرية (طبيعة النفس ، العقل ، الروح : علاقاتها بالجسم المادي) . ثم اخذ علم النفس بدراسة « العقل » وحده بدراسته وتدريسه وتسميته بعلم العقل واحيانا بعلم السلوك . غير أن غالبيته المهمتين به لم تر مسوغا لتبديل اسمه التاريخي . وهذه ظاهرة مألوفة لدى المختصين الأخرين في فروع المعرفة الأخر . وذلك لأن اسماء العلوم المختلفة (التي انفصلت في الأصل عن الفلسفة بمعناها التقليدي المعروف) . في مراحل تاريخية متباينة : استمرت كما نشأت أول مرة برغم تغير موضوع أو محتوى دراستها . فكلمة « الفيزياء Physics باللغة الانكليزية » ومثيلاتها باللغات الاوربية الأخر كالفرنسية والالمانية التي اشتقت في الاصل من الكلمة اليونانية Physis واستمر استخدامها شائعا الى الوقت الحاضر ـ وربما ايضا سيبقى كذلك ـ رغم التبدل الجذري في محتواها الذي كان في الاصل القديم « الطبيعة » . وكذا الحال مثلا في مصطلح Geomety (باللغة الانكليزية ونظراته باللغات الاوربية الأخر) ـ (الذي يقابل باللغة العربية : مصطلح (هندسة) حيث لم يعد استخدامه مقتصرا على الأصل الذي هو « قياس الارض » او مساحة الارض .

ـ ٢ ـ

و« العقل » الذي يدرسه علم النفس المستند الى (الفلسفة التأملية) بموهبة خاصة بالانسان وحده حسب رأيهم تميزه عن سائر المخلوقات . وهو يختلف اختلافا جذريا ونوعيا وحاسما في طبيعته ووظائفه المادي برغم وجوده داخله .

واذا كان الأمر كذلك فما هي طبيعة العلاقة بينهما ؟ (الصلة : الرابطة) بين العقل « اللا مادي » (الموجود داخل الجسم المادي) وبين الجسم ؟ .. تلك مشكلة فلسفية وسايكولوجية كبرى ذهب الفلاسفة وعلماء النفس القدامى في تفسيرها مذاهب شتى لا يعنينا هنا أمر الدخول في تفاصيلها رغم اهميتها التاريخية بل نكتفي بمجرد الاشارة اليها . مع العلم ان علماء النفس (ذوي النزعة الفلسفية المشار اليها) استبدلوا كلمة (عقل) الفلسفية بكلمة (ذكاء) : وهو بنظرهم « قدرة فكرية نظرية » . وهذه النزعة السايكولوجية هي النزعة الاكثر شيوعا في هذا القرن الذي نعيش فيه . وهي ذات أرتباطا وثيق بما يسمى « اختبارات او مقاييس الذكاء » .

يتضح اذن ان الاتجاه العام لعلم النفس في القرن العشرين هو استناده ـ بشكل واضح أو ضمني ـ الى الفلسفة (التأملية : القديمة المستندة الى ثنائية الجسم ـ العقل) لكونه ايضا مازال مرتبطا بالاقسام الفلسفية في الجامعات .

ـ ٣ ـ

نشأت قبيل الحرب العالمية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٥) نزعة جديدة في علم النفس مفادها ان الدماغ هو عضو العمليات العقلية (الذكاء : العقل : التذكر : الذاكرة : الخيال) وأن الانسان لا يرث منذ الولادة شيئا أخر سوى جسمه المادي (الذي يعتبر الدماغ جزءا لايتجزأ منه) . وان الدماغ ايضا هو عضو المشاعر او الانفعالات او العواطف . وان محتوى العمليات العقلية ذاتها ومحتوى الانفعالات مكتسب من البيئة الاجتماعية . الأمر الذي ادى بعلم النفس الى الابتعاد رويدا رويدا عن الفلسفة وعن معطياتها النظرية فيما يخص طبيعة حياة الانسان العقلية . وقد أدى هذا بدوره الى اقتراب علم النفس تدريجيا من « علوم الاعصاب » .

Neuso-Seiemces والى نشوء علم نفس جديد يطلق عليه اسم Neuso-Psychology : علم النفس المستند الى علوم الاعصاب . وعلم النفس الجديد هذا يبحث في الوظائف السايكرلوجية للدماغ مع مراعاة التخصص الوظيفي لأقسامه المتعددة وهو : أمر تغفله علوم الاعصاب لكونها تدرس الوظائف الفسلجية والاقسام التشريحية للدماغ فقط . ومن الجهة الثانية فان علم النفس الجديد لايأخذ نقطة إنطلاقه في دراسة الدماغ من اقسامه التشريحية التقليدية المعروفة (المخ : المخيخ : النخاع المستقيل : القنطرة الخ) بل من حيث كونه وحدة متماسكة تنقسم ايضا الى وحدات وظيفية متخصصة رغم تعاونها وتبادلها .

فقد ثبت ـ في ضوء ماذكرنا ـ ان دماغ الانسان ينفرد بوجود مناطق مخية . خاصة تسمى المناطق المخية الثلاثية testiang Contical gones تقع في قسمه الاعلى (القشرة المخية ceregal contes) . وهي تنقسم قسمين من ناحية موقعها في المخ (الذي هو القسم الاعلى من الدماغ) ومن حيث وظائفها السايكرلوجية . هما : المناطق المخية الثلاثية (الامامية) والمناطق المخية الثلاثية الحسية . تقع الاولى منهما في القسم الامامي الاعلى من المخ ـ المناطق المرقمة ٩ و١٠ و٤٤ و٤٥ و٤٦ ـ ووظيفتها التعامل مع الامور المجردة وتكوين انطباعات عقلية مجردة والتعبير عن هذه الانطباعات تعبيرا مجردا ايضا بالرموز والمعادلات في الرياضيات والعلوم الطبيعية والاجتماعية النظرية . وتقع الثانية منهما في القسم الاعلى الخلفي من المخ ـ وعلى جانبيه الايمن والأيسر المناطق المرقمة ٥ و٧ و٣٧ و٣٩ و٤٠ ـ ووظيفتها التعامل مع الأشياء المحسوسة وتكون صور ذهنية حسية عنها والتعبير عن تلك الصور الذهنية تعبيرا حسيا ايضا . وهي الاساس الدماغي للقدرات العقلية في المجال التكنولوجي وفي الرسم والنحت والشعر .

ومعلوم ان الاساس الجسمي للقدرات العقلية (بجانبيها) لا يكون من نفسه او في حد ذاته تلك القدرات وهذا يعني ان محتوى القدرات العقلية شيء مكتسب من البيئة الاجتماعية (لاسيما الثقافية منها) . ومع ذلك فان البيئة في حد ذاتها لا تؤدي حتما وبالضرورة الى نشوء القدرات العقلية في هذا المجال او ذاك الا اذا استثمر الانسان رصيده الدماغي الى حده الاقصى في الموضوع الذي بجنح نحوه منذ سن مبكرة والم به الماما واسعا وعميقا . وهذا يعني أنه (لكي تنشأ القدرات العقلية) لابد من توافر ثلاثة عوامل متكاملة ومتلاحمة : العامل الفسلجي (الدماغي) والعامل الثقافي (البيئي) والعامل السايكرلوجي (مقدار . الحفز والامنهامك في العمل الذهني المعين . والفروق الفردية في مستوى قدرات الافراد مردها في الاصل إما الى اختلاف رصيدهم الدماغي (مناطقهم المخية الثلاثية : الحسية والجهته وإما الى اختلاف بيئاتهم الاجتماعية (الثقافية) وإما الى اختلاف دوافعهم او محفزاتهم السايكرلوجية . وهذا ينطبق على جميع الافراد الاسرياء في المستوى الاوسط من رصيدهم الدماغي [illegible] مراتبهم التي تنتهي بالنبوغ او العبقرية في هذا المجال او ذاك من مجالات الفن بما فيه الشعر والادب الذي هو فن الكلمة والتكنولوجيا من جهة وفي مجال العلوم الطبيعية النظرية (بما فيها الرياضيات) . فالعباقرة في مجال الفن والتكنولوجيا هم الذين تكون لديهم المناطق المخية الثلاثية الحسية اكثر تطورا من المناطق المخية الثلاثية الجبهية وتكون ظروفهم الثقافية في المجال الفني والتكنولوجي ذات مستوى عال ويستثمرون امكانياتهم المخية الى حدها الاقصى في هذا الموضوع الفني والتكنولوجي وذاك بعد الألمام الواسع العميق به وما يصدق على هؤلاء يصدق ايضا على نظرائهم في مجال الرياضيات والعلوم الطبيعية والاجتماعية النظرية .

وفي ضوء ماذكرنا نستطيع ان نقول ان الابتكار (على اختلاف مستوياته الصاعدة التي تنتهي بالعبقرية) من حيث هو عملية او وظيفة مخية منظورا اليها من زاوية تركيز الانتباه في موضوع معين لفترة طويلة من الزمن بعد الالمام الواسع العميق به هو نشاط عصبي تقوم به المناطق المخية الثلاثية (الحسية في حالة الفن والتكنولوجيا) والجبهية (في حالة الرياضيات والعلوم الطبيعية والاجتماعية النظرية) التي بلغت إثارتها حدها الاقصى . وهذا يعني ـ من الناحية السلبية ـ نشوء عملية عزل مخي تستلزم (في لحظة تركيز الانتباه) اقصاه او استبعاد (ابطال مفعول) الانطباعات الذهنية والمؤثرات البيئية المحيطة غير ذات العلاقة بالموضوع لكي تنتشر الأثارة المشار اليها في مجيع ارجاء المخ .

وعندما تقترن او تتلقح الارتباطات العصبية في المنطقة المخية النشطة (المثارة) فأن ذلك يشير الى قرب ميلاد الفكرة العلمية الجديدة او الصورة الذهنية الحسية الفنية . غيران ذلك الأقتران السعيد المؤقت لا يتم ـ على وجهه الاكمل ـ الأ في اعقاب دراسة مستقيضة قد تستغرق سنين طويلة . ولكنه يحصل فجأة عند نضجه (في المراكز المخية الثلاثية الحسية في حالة الفن وفي المراكز المخية الثلاثية الجبهية في حالة الرياضيات) . ويكون ذلك مصحوبا في العادة بحالة صراع مخي مرير يبلغ اعلى مراتبه بين المناطق المخية المنارة وبين التي مازالت باهتة الضوء . وتظهر اثناء ذلك حالات تشنج مخي يجوز ان نسميها « مخاض الأبداع » . وهي حالات خاصة من الصراع الحاسم المرير الذي يحصل لدى كبار الفنانين والعلماء بين المجاري التي تحمل الفكرة العلمية الجديدة او الصورة الذهنية لقذفها الى خارج الدماغ وبين تلك التي تحاول الاحتفاظ بها . على نسق الصراع الذي يجري بين المجاري العصبية التي تعمل على دفع الجنين الى خارج الرحم (اثناء المخاض) وبين التي تحاول صده . وعندما يستكمل المولود الجديد مستلزمات وجوده المستقل فأنه يرى النور في الحالتين في اللحظة الحاسمة بشكل لا يراء فيه . وقصة ارخميدس (٢٨٧ ـ ٢١٢ ق .م) معروفة عندما اهتدى اثناء استحمامه بشكل مفاجيء الى حل مسألة رياضية اعياه حلها فترة طويلة من الزمن . فخرج الى الشارع عرايانا جذلا ينادي بأعلى صوته : يوريكا : يوريكا : وجدتها : وجدتها ...

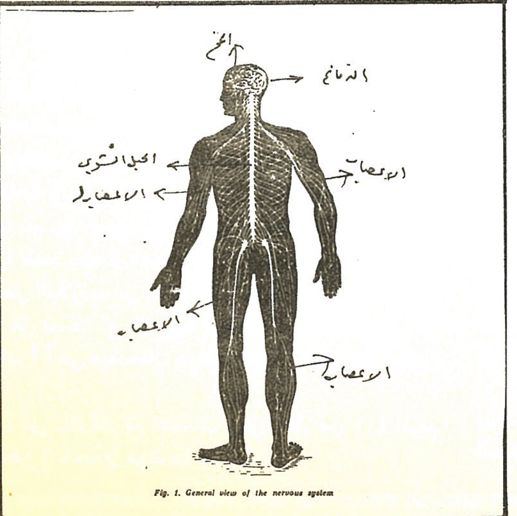


Fig. 1. General view of the nervous system

ويقدر ما يتعلق الامر بملامح علم النفس في القرن الحادي والعشرين يمكننا ان نقول في ضوء ماذكرنا : تبلورت في علم النفس في هذا القرن الذي نعيش فيه نزعتان سايكرلوجيتان متنافرتان هما النزعة السايكرلوجية (الأقدم) ذات الاساس الفلسفي التأملي الأخذة بالتفاؤل مع تقدم العلم من جهة والنزعة السايكرلوجية (الاحداث) المستمدة من علوم الاعصاب والأخذة بالتطور بتطور العلم من جهة اخرى .

وعليه فإن القرن الجديد سيشهد اندثار النزعة السايكرلوجية الأقدم (اللا علمية) وانتشار نقيضها . وهذا هو النهج الذي سار به العلم طوال تاريخه الطويل . فقد بدأ التفسير العلمي الحديث للكون اول ما بدأ في بحث امور أبعد ما تكون عن الانسان : عندما بدأ كوبرنكس (١٤٧٣ ـ ١٥٤٣) وكبلر (١٥٧١ ـ ١٦٣٠) وغاليلو (١٥٦٤ ـ ١٦٤٢) ابحاثهم التجريبية في علم الفلك وفي شكل الارض وحركتها والى سقوط الاجسام وكان غرضهم البرهان على فساد الأراء القديمة (ذات الاساس الفلسفي التأملي) التي تحدرت عن اليونان الأقدمين . وقد برهنوا ـ بشكل لايقبل الشك او الجدل ـ على فساد تلك الأراء في هذا المضمار . ومن علم الفلك تقدم البحث العلمي لتحقيق ظفر مؤزر أخر في حقل الفيزياء والكيمياء ثم في حقل الطب وفي علم نفس .

وعندي ـ اذا كان لي عندكما يقول الجاحظ ـ سوف تزداد معرفة الانسان بتركيب الدماغ ووظائفه السايكرلوجية سعة وعمقا وبخاصة دراسة في المناطق المخية الثلاثية التي تحدثنا عنها وفي « المراكز » المخية المسؤولة عن نشاط اعضاء الجسم واجهزته المختلفة التي بدت طلائعها في أواخر ستينيات هذا القرن بجهود عالم الفسلجة الكندي : بينفيلد (الذي اثبت ـ كما هو مبين في المخطط ـ ان « المراكز » المخية لاعضاء الجسم يختلف حجمها باختلاف اهميتها السايكرلوجية في حياة الانسان بصرف النظر عن حجمها : بالمركز المخي المسؤول عن حركة الابهام والكف عموما (عضو العمل : والكتابة وتناول الأشياء)

والمركز المخي المسؤول عن حركة الشفتين واللسان والحبال الصوتية (اعضاء النطق) هما اكبر المراكز المخية المسؤولة عن حركة اعضاء الجسم الأخر بما فيها الجذع والفخذين .

يضاف الى ذلك ان اقسام علم النفس سوف ترتبط بالاقسام المختصة بعلوم الاعصاب في الكليات الطبية بدلا من ارتباطها الحالي بالاقسام الفلسفية . كما ان دور الحضانة ورياض الاطفال سوف تلتحق باقسام طب الاطفال بدلا من وزارات التربية . واعداد معلمات هذه المؤسسات التربوية سيكون على نسق اعداد المرضات مضافا اليه دروس في التربية . أما مناهج اعداد المدرسين والمعلمين فسوف تطغى عليه دروس في فسلجة الجسم عموما وفي فسلجة الجهاز العصبي المركزي بصورة خاصة وفي فسلجة الدماغ بصورة اخص . كما ان علم الامراض العقلية psychiatsy سيحدث فيه تبدل جذري .

ـ ٥ ـ

أما المضامين التربوية الناجمة عن ذلك كله فيمكننا ان نبدي بصددها الملاحظات الختامية التالية :

يولد الطفل ضعيفا من الناحيتين الفسلجية الدماغية والاجتماعية الثقافية في مجتمع يضم منجزات النوع الانساني (المادية والثقافية) عبر تاريخه الطويل مع تفاوت مفزع بين المجتمعات وداخلها في مستوى تقدمها المادي والثقافي ولا يضاف الطفل الى المجتمع كما يضاف جناح جديد الى البناية ولا بوجد الطفل في المجتمع على غرار وجودي الآن في هذه الغرفة وانا اكتب هذه السطور بل هو يعيش في المجتمع ويعمل فيه ومعه وداخله ويوجد فيه كما توجد جذور النبتة اليانعه في التربة الخصبية او كما توجد يد الانسان في جسمه بشكل غير قابل للانتزاع الا لأغراض الدراسة النظرية . ولا يبقى الطفل محايدا ازاء (او متفرجا على) مايجده في المجتمع من منجزات مادية وثقافية بل هو يتفاعل معها وينمو باستخدامه اياها ويعبر عن نشاطه بواسطتها تماما كما يفعل الكبار المحيطون به . فتنشأ لديه بالتدرج قدراته العقلية على اساس رصيده المخي الذي تحدثنا عنه .

والطفل يتعامل ـ في اول الامر ـ مع الادوات المادية والثقافية المتوفرة في الأسرة التي يترعرع فيها ضمن اطار المجتمع الذي ينشأ فيه . ويبدأ اختلاف مستوى تطور القدرات العقلية وتنوعها بفعل اختلاف مستوى تقدم أسرهم ادبا وثقافيا . ثم ينتقل الأطفال الى المجتمع الأكبر ـ بما فيه المدرسة في حالة وجودها ـ فيزداد تنوع قدراتهم العقلية ويتفاقم اختلاف مستويات تطورها . معنى هذا ان الأطفال يستخدمون مقادير متفاوتة من رصيدهم المخي في أوجه مختلفة من النشاط الاجتماعي المتاح : فتبدأ الفروق الفردية الفكرية بالتبلور . فالبلداء او الاغبياء هم الذين يستثمرون الحد الأدنى من رصيدهم المخي في المجال الذي نتهمهم بالبلادة فيه . وينعكس الأمر في المراتب الصاعدة الأخر .

لاشك عندي في ان تنمية القدرات العقلية عند الطفل الى حدها الاقصى وعلى افضل وجه (وبخاصة القدرات الابتكارية) لا تنسجم مع اسلوب التدريس الشائع المبني على التكرار والحفظ الميكانيكي والترديد البيغاوي الذي يستأثر فيه المدرس بحصة الأسد ويكون الطلاب فيه ادوات سلبية مثلقية . يضاف الى ذلك ـ ولا يقل ضررا عنه ـ أن اعداد الدراسية التي يتعلمها التلميذ لا تتحول ـ بالنظر لجمودها ولعقم اساليب تدريسها ـ الى جزء من كيانه الذي يتناوله الجسم الى ما يغير به وينميه ويصبح بالتالي جزء لا يتجزأ منه . بل تبقى المعلومات المدرسية طافية على سطح الدماغ الذي لا يلبث ان يجترها ليقذفها الى الخارج في وقت الامتحان كما يقذف الاموج البحر الى الساحل المواد الغريبة التي تطفو عليه . كما ان الحاح نظام التعليم السائد على ضرورة تفوق الطالب في جميع الدروس ـ من الرسم حتى الرياضيات ـ هو ينظرنا ضرب من ضروب التعجيز ولا مسوغ له من الناحيتين التربوية والسايكرلوجية . فالطالب الذي يحاول ان يتفوق في جميع الدروس انما يفعل ذلك على حساب موضوع تفوقه الاصلي .

والخلاصة : يولد الناس متماثلين في الأسس الفسلجية الدماغية التي تستند اليها حياتهم العقلية . وأن الاختلافات الكبيرة والكثيرة التي تنشأ في منجزاتهم الفكرية داخل الأمم وبينها ـ تعود بعد التحليل الدقيق الى اختلاف بيئاتهم الاجتماعية (الثقافية) . واذا استثنيناالأشخاص الذين يولدون بنقص في أدمغتهم او يتعرضون لذلك النقص بعد الولادة فأن كل تخلف في تفكير الشخص ترده الى بيئته الاجتماعية . ولو نظرنا الى البيئة نظرة تاريخية تطورية تجدها ذات فجوات كبيرة وكثيرة تفصل بين الافراد والفئات الاجتماعية وتؤدي الى تباين فرص الحياة وتحول دون استثمارهم جميعا (الحد الاعلى) من رصيدهم المخي في هذا الوجه او ذاك من اوجه المعرفة والحياة الاجتماعية السائدة . وكلما اتسعت تلك الفجوات وازدادت عمقا كلما ازداد مقدار القدرات العقلية المطمورة او غير المتكاملة النمو او النامية بغير الاتجاه السليم .

ومن الجهة الثانية فان ارتفاع مستوى البيئة الثقافية المعاصرة مسؤول بنظرنا عن ارتفاع مستوى التفكير المعاصر . ومن هذه الزاوية فأن بدائية التفكير عند الشخص البدائي تردها في الاصل الى بدائية بيئته الثقافية . ثم تعمل بدائية تفكيره على جعل البيئة الثقافية اللاحقة بدائية ايضا . وهكذا رد اليك . وترد ذلك في الأصل ـ على ما نرى ـ الى كون البيئة البدائية يعوزها هذا المقدار الضخم من عوامل الحفز الأيجابية المتوافرة في البيئة المتقدمة التي تستثير التفكير وتتحداه وتحثه على العمل المتواصل للسيطرة على الطبيعة وتسخيرها لمصلحته . كما أن عوامل الحفز في البيئة البدائية مع تفاهتها وضئاتها ـ سلبية في جوهرها تصد صاحبها عن مواجهته الطبيعة ولا توجه اهتمامه الا الى الظواهر البيئة التافهة والعرضية .

فلابد اذن من البحث في البيئة الاجتماعية (الثقافية) للكشف عن العوامل التي جعلت زيدا من الناس بليدا بمقاييس عصره ومجتمعه وجعلت عمرا ذكيا بالمقاييس ذاتها . ولابد ايضا من العمل المستمر الدؤوب على تحسين بيئات الافراد ماديا وعلى الصعيد الثقافي . وهذا يسلتزم بالاضافة الى نشر التعليم على اوسع نطاق ممكن وفي جميع مراحل الدراسة إعادة النظر جذريا في مناهج التدريس وفي اساليب التعليم ، كما يستلزم ايضا تنقية علم النفس في كليات التربية ومعاهد اعداد المعلمين ـ من الأراء السايكرلوجية (العتيقة ذات الاساس الفلسفي التأملي القديم) [illegible] والتعليم في نفوس الناشئة ان التفوق يسود جميع الطلاب اذا أحسن تدريسهم وتحسنت ظروفهم البيئته وان التفوق على الآخرين في مجال معين يلقي على صاحبه مزيدا من المسؤليات الاجتماعية بدلا من أن يهيء له فرصةز الاستئثار غير المشروع بجهزد غيره .

ـ ٦ ـ

لذلك يتضح ان علم نفس القرن الحادي والعشرين سيكون وثيق الصلة بعلوم الاعصاب وبخاصة فروعها التي تدرس الدماغ من الناحيتين التشريحية والفسلجية . وعلوم الاعصاب المشار اليها التي تبلورت منذ منتصف القرن الذي نعيش فيه سوف تستمر وتتطور تطورا مذهلا رغم التطور الهائل الذي حققته في هذه الفترة القصيرة من الزمن . فهي مازالت في بداية الطريق ـ على مانظن ـ ومازال الكثير من القضايا الدقيقة المتعلقة بالدماغ بحاجة الى مزيد من الدراسة وبخاصة ما يتعلق بنشاط نصفي الكرة المخية من حيث ارتباطاتهما المتداخلة ومن ناحية نشاط كل منها على انفراد لاسيما وظائف نصف الكرة المخية الأيمن الذي لم يحظ لحد الآن ـ على ما نعلم ـ بما يستحقه من الدراسة . كل ذلك سوف يؤدي بنظرنا الى الكشف عن المراكز او المناطق المخية المسؤلة عن النشاط الذهني في شتى الاختصاصات (في العلم والفن) ويحيط اللثام ايضا عن الفروق الفردية بين الذكور والاناث في تركيبه الدماغ وبين الاشخاص الذين يستخدمون اليد اليمنى اكثر من اليسرى في الكتابة وفي اوجه النشاط اليومي الأخر . وبالعكس . وفيما يتصل ايضا بدراسة امداج الدماغ الكهربائية في حالتي الصحة والمرض واثناء اليقظة والنوم وفي وقت الراحة واثناء التركيز على الانتباه وكذلك في حدوث الاحلام . يضاف الى ذلك ولا يقل اهمية عنه معرفة دور الدماغ في حدوث الامراض العقلية واضطرابات السلوك والامراض النفسية وحالات التخلف العقلي تمهيدا لاتخاذ الاجراءات الايجابية الفعالة للحيلولة دون حدوثها في اول الامر ولعلاجها علاجا سليما بعد حدوثها . عندئذ يشهد القرى الحادي والعشرون تطورا مذهلا في علم النفس واتساعا هائلا في القضايا التي يعالجها والمكانته المرموقة التي سوف يحتلها بين فروع المعرفة الأخر . وتزداد الروابط المتينة بين كليات الطب وكليات التربية واقسام علم النفس .

ومن الجهة الثانية فان الأرتباط الدقيق بين علم النفس وعلوم الاعصاب سوف يؤدي في القرن الحادي والعشرين الى بلورة كثير من الموضوعات التي بدأ علم النفس بالتصدي لها منذ فترة قصيرة وهي كثيرة يأتي في مقدمتها « علم نفس الشيخوخة » Geriatric Psychology الذي سوف يلتحم بعلم الشيخوخة Gerontology .

وهذا يؤدي بدوره الى زيادة التقارب بين اقسام علم النفس في الجامعات وبين وزارات الصحة . كما انه يؤدي ايضا الى ان يأخذ الاطباء المهتمون بدراسة الشيخوخة العوامل السايكرلوجية المؤدية اليها بالاضافة بالطبع الى العوامل البايولوجية (التي سوف تحظى بمزيد من البحث) . كما انه يجعل علماء النفس المعنيين بدراسة الشيخوخة لايغفلون عن حسبان العوامل البايولوجية المتعلقة بالجسم باسره وباعضائه وأجهزته كل على انفراد وبخاصة اذا تذكرنا ان بعضها يشخ قبل بعض أخر . وهنا ايضا تبرز اهمية الدماغ في حدوث الشيخوخة المبكرة في ظروف بيئته خاصة . يضاف الى ذلك ولايقل اهميته عنه ان علم نفس القرن الحادي والعشرين سوف يولي اهتماما خاصا بعلم الجمال Aesthe-tics بصورة خاصة ولسايكرلوجيا الفنون الدقيقة (بمافيها الشعر والادب الذي هو فن الكلمة) ويكشف عن اسسها الدماغية وبذلك يقضي على الآراء اللا علمية الشائعة في تفسير طبيعته علم الجمال وسايكرلوجيا الفن التي تستمر في الاصل معطياتها النظرية من الفلسفة التاملية الميتافريقية المرتبطة باسماء افلاطون وهيكل وبركسون وكرويشيه . وهذا بدوره سيحدث تبدلا في موقع الفن والجمال بالنسبة لعموم الناس كما يحدث ايضا تبدلات عميقة في التربية الفنية ـ من حيث مناهجها واساليب تدريسها ـ في جميع المستويات منذ الطفولة المبكرة .